مجموعة بغداد سيعاد عرضها بعد خمس سنوات من الآن

لوسيندا كانيلاش
لشبونة

نشر القسم الثقافي في صحيفة بوبليكو البرتغالية في ١٨ مايس الماضي هذا المقال بعنوان (متحف بغداد لا يمكنه الاحتفال بيوم المتاحف).

ليس اليوم العالمي للمتاحف، الذي يُحتفل بذكراه اليوم، باعثاً على الاحتفال به عند الجميع او في الاقل ليس الآن عند ثريا البزاز، الاثرية المسؤولة عن مكتب العلاقات الدولية في المتحف القومي للآثار في العراق الذي نهب اثناء غزو بغداد في نيسان/ ٢٠٠٣ والذي ما زال بعيداً عن ان يجد مبرراً للاحتفال بهذا التاريخ (تاريخ اليوم العالمي للمتاحف).

ومتحف بغداد يستمر مُغلقاً، فلم يتم استرجاع الا ثلاثة الاف قطعة من اصل خمسة عشر الف سرقت منذ ثلاث سنوات، وبعض القطع الفنية التي دمرها اللصوص الذين اقتحموا المتحف بين الثاني عشر والسادس عشر من نيسان (يوم الاقتحام ويوم طرد الامريكيين وقوات التحالف اياهم من المتحف) قد اصبحت في عداد المفقودة حيث يستحيل علاجها لاسترداد حالتها الاصلية، "هناك قطع قد تم تدميرها ويستحيل استردادها، هكذا تضطر ان تقول ثريا البزاز التي حضرت في مهمة للبرتغال منذ حوالي شهر مع حسان قصي من مركز الفن الحديث بالعاصمة العراقية الذي تم نهبه ايضاً خلال الحرب بدعوة من مدير مؤسسة كولبنكيان للتدريب في متحفها.

يقول قصي: نحن في كولبنكيان نحاول جمع المعلومات عن اشياء عملية مثل الحفظ والتخزين والاضاءة. وتضيف ثريا البزاز "ما زال امامنا الكثير لنتعلمه" لقد كنا منغلقين لعشرين سنة وفي هذه الفترة تغيرت المتاحف كثيراً وتغير العالم كثيراً، هكذا عقُبت مع رفضها الاجابة عن أي سؤال بشأن قوات التحالف التي اتهمت في ذلك الوقت بعدم حماية المتحف رغم تحذيرات المجتمع الدولي من المتخصصين، وبالرغم من الطلبات التي قُدمت الى حكومتي واشنطن ولندن.

لم تكن العالمة الاثرية في المتحف حينما وقع النهب بعد ثلاثة ايام من سقوط العاصمة حيث تتذكر "ان المشي في الشوارع كان ممنوعاً وخطراً، وعادت الى المتحف بعد النهب بعشرة ايام وما زالت حتى اليوم تعاني صعوبة في الحديث عن سيناريو ما وقع تقول ثريا "لقد كان اليوم الاول لعودتي الى المتحف صدمة كبيرة وعقيمة، بُليت حين رأيت الرفوف خاوية والقطع مدمرة وكان علي ان اغادر. في الاسبوع الاول استطاعت ثريا البزاز التفتيش عن قاعة جديدة واحدة. لقد كان الامر بالغ الصعوبة لقد آلمني اكثر ما آلمني انهم دمروا الاشياء التي لم يستطيعوا حملها ونهبها فهذا يعني انهم اعداء.

وتواصل العالمة الآثارية حديثها عن صعوبة فهم ما حدث فتقول "لا ادري من الذي فعل هذا؟ ولا لماذا؟ فلو كانوا عراقيين فهذا ملكهم. ولو كانوا اجانب فهذه آثار قديمة هذه حضارة ولو كانوا عرباً فالامر هو نفسه بالنسبة لهم. فلقد بدا الامر كأنهم يسرقون انفسهم".

ويحتفظ متحف بغداد بمجموعة من اهم الآثار في العالم فقد كانت فيه قبل النهب مائة وسبعون الف قطعة فنية، اقدمها يرجع الى الالف التاسع قبل الميلاد ويصعد بالتاريخ حتى الحقبة الاسلامية وذلك من خلال ٢٨ قسماً للعرض وخزانة. تشهد المجموعة مولد الحضارة كما تبين ثريا البزاز، مذكرة بأن المتحف به بعض اوائل الادوات التي صنعها الانسان خصوصاً الحديد.

"لقد كان العراق هو محل ميلاد الكتابة، وفيه بدأ القانون في مسلة حمورابي (حوالي سنة ٧٠٠ قبل الميلاد- متحف اللوفر).

في العراق بلاد الجزيرة القديمة ونهري دجلة والفرات "نعيش في اقدم بقاع الارض، حيث يمكن الرجوع عشرة آلاف سنة بتاريخ الانسانية".

كنوز يجب استرجاعها:

لصيقاً بمبنى المتحف مبنى آخر ستشغله قريباً ورش الحفظ والصيانة والتخزين ومن بين الاثني عشر الف قطعة مفقودة هناك قطع من اهم قطع الآثار في العالم وكذلك ثريا البزاز ترفض الحديث عنها لأنها كلها ذات دلالة كبيرة.

ومن بين القطع التي أُعيدت الى المتحف، بجهد الجيش، والشرطة الدولية (الانتربول) واليونسكو والمخابرات المركزية الامريكية ومكتب التحقيق الفيدرالي وموظفي الكمارك وبعض الافراد ذوي الوعي هناك اعمال في الصدارة مثل "رأس امرأة من الوركاء (٣٠٠٠ قبل الميلاد) والزهرية من الوركاء (اوروك القديمة)، وسجل او دعاء الاالاباستر سجل من خمسة آلاف سنة بمناظر من الحياة اليومية في المنطقة قسمت الى اربع عشرة لوحة.

وتؤكد ثريا البزاز ان المتحف سيبقى مغلقاً طالما الوضع في بغداد لم يتحسن ولم يستجمع بعد كل شروط الامن، وربما امكن فتحه بعد خمس سنوات او ست.

وتعتقد العالمة الاثرية ان كثيراً من القطع لا يزال من الممكن استرجاعها وان المحاولات مستمرة من خلال المزادات على الانترنيت فمنذ ما يزيد قليلاً على شهرين ظهرت قطع فنية للبيع في باريس ونيويورك والمتحف والسلطات العراقية لديها علم بالكثير من القطع الفنية الموجودة في بلاد مثل العربية السعودية وايران وسوريا وتركيا والاردن وقامت بضغوط من خلال الدبلوماسيين لاعادتها الى العراق "في الاردن فقط توجد الف وخمسمائة قطعة تمت السيطرة عليها على الحدود ووضعها في المستودعات حتى تتحسن الاوضاع في بغداد. وتعتزم الاردن ارجاعها وقد طلبنا القطع من تركيا ولم يصلنا الرد بعد، كما هو الشأن ايضاً مع السعودية وسوريا".

مركز الفن بلا قطع فنية:

لم يقف النهب في الحرب عند المتحف القومي للآثار في العراق. وكما يقول حسان قصي ان مجموعة اللوحات المرسومة والتماثيل المنحوتة في مركز الفن الحديث الذي يستعد لاعادة فتحه، ما زالت بعيدة عن قاعة العرض لاسباب امنية "فلا يساوي الجهد المبذول ان يفتح المركز لمدة شهر دون تقدير العواقب" كما يقول ذلك المسؤول "فالمركز مفتوح دون ان تكون هناك براويز على الحيطان لأن الموقف لا يسمح".

والبلاد التي تصلها آثار تنتمي الى المتحف القومي يمكن ان تكون مستمرة في تجميع القطع والاعمال الفنية البالغ عددها سبعة آلاف واكثر التي اختفت من المركز (فلم يبق في المركز اليوم الا الف واربعمائة قطعة) ويقر قصي بانه كان صعباً استرجاع اللوحات والتماثيل "اذ لم تكن هناك مساعدة كافية فالناس منشغلون بمشاكل اخرى ولكن الذين يعملون بالفن يصعب ان نتخيل اننا سوف نخسر وجودنا من حيث جئنا ومصيرنا حيث نذهب".

لقد اشترى المسؤولون عن المتاحف بعض القطع من الشارع "اذا شرعنا بشراء القطع التي ضاعت منا فسوف نخلق سوقاً نفاوض فيه الذين سرقوها. واذا لم نشترها بما يساوي اليوم دولاراً فسوف يساوي غداً مائة دولار، وعندها لن نجد المال اللازم للشراء فهذه حقيقة بالنسبة للفن الحديث وبالنسبة للآثار.

والتدريب الذي يتلقونه في البرتغال ليس قاصراً عليهم وحدهم، فهناك موظفون من متاحف العراق في ايطاليا وفرنسا واليابان وسيشارك كل من ثريا البزاز وحسان قصي في مناقشته في المتحف القومي للآثار في لشبونة يوم السبت بعد عرض مسرحية (حراس متحف بغداد الساعة)

خالد خضير الصالحي

من فعاليات ملتقى المدى الابداعي

معرض المصور الفوتوغرافي زياد تركي

الصورة الفوتوغرافية .. مشروعا تأويليا

الانفصال عن الواقعة

حالما تنفصل الصورة الفوتوغرافية، عند زياد تركي، عن اية متعلقات بالواقعة: المعلومات الوثائقية، والعنوان، واشارات المكان والزمان ونحو ذلك، فلن تعود جزءا من الارشيفات والسجلات التاريخية والوثائق والمعلومات .. وتندرج عندها ضمن مشروع بصري تأويلي ذي بعد انساني مفصول عن لحظته التاريخية، مشروع لمجاز منطو على ذاته، ومكتف به، ويحمل صفة مهمة باعتباره ليس الا اثرا من واقعة ذات بعد انساني عام، فتنتهي عندئذ تاريخية اللقطة، وتتسع المسافة، وتبتعد الشقة بين الواقعة والصورة حد اكتفائهما الذاتي، فينتهي المعيار التاريخي للصدق، ذلك الذي يقع في وهمه، كتّاب كثيرون حينما يتهمون انماط التصوير والصور التي يمكن (التلاعب) بتفاصيلها، بعدم الصدق جراء هذا التدخّل البشري، ولكننا نعتقد ان هذا المعيار يبدو ضيقا للغاية، وقد لا ينطبق الا على حدود ضيقة من التصوير الفوتوغرافي، كما لا تصح برأينا معايرة صدق الادوار التاريخية (=أدوار الاستحالة) التي مرّت بها الصورة الفوتوغرافية، وادت فيها مختلف المهام، خلال تطور (تكنولوجيا) التصوير عبر التاريخ؛ ومنها اعتبارها دالة على الواقعة التاريخية؛ وبذلك تتم اعادة انتاج مفهوم (الصدق)، وهو ما حاولت تجربة زياد تركي الفوتوغرافية الاسهام في تأسيسه حينما عرضها مؤخرا في معرض اقامه ضمن ملتقى المدى الابداعي في مدينة اربيل.

المحنة الانسانية

لقد كانت المحنة الانسانية هي الثيمة الكبرى التي قدمها معرض زياد تركي فيظهر فيها الانسان مقهورا، ومحطما، وحائرا، امام ابواب الحياة الموصدة دونه فكان التعبيرعن الحالة الداخلية من خلال عناصر الشكل الخارجي والعناصر الشيئية للصورة الفوتوغرافية، عند زياد تركي، يتم من خلالها توظيف عناصر الصورة والواقع كمجسدات لهذه الثيمة عبر تلاعبه بتوزيع الظلام في الصورة، بهدفين؛ هدف درامي، حيث تطبق تلك العتمة الثقيلة، كالكوابيس، على الوجود الإنساني، تاركة له فسحة ضئيلة من مساحة الصورة (=الأمل) التي يظهر الضوء فيها، فكان توظيف الضوء من اجل إبراز "لحظة إدراك في وجوه وتلميحات الموضوعات؛ وكل ما سواه ملقى في الظلّ"، كما يصف الناقد (دونكان بول) أجواء مشابهة لتجربة زياد تركي، حيث تبرز التباينات بين الضوء والظلام، وثمة هدف سايكولوجي استبطاني يأتي ضمن محاولة للإمساك "بالحياة الداخلية لموضوعاته، عبر توزيع الضوء والظل لإبراز تعابير الوجوه المتغضنة المحفورة بفعل الزمن القاسي الذي ترك اخاديد كان قد حفرها بقسوة لا توصف، فتبدو لحظات الإدراك والإستغراق في التفكير، والإنغماس في التأمل، في وجوه نماذجه المختارة بالتزامن مع الجدران المرتفعة التي اخذت مساحة الجزء العلويّ الأعظم من اللقطة، فسحقت هيمنتها على فضاء الصورة أية مقاومة، يمكن ان تبديها تلك (الكائنات) البشرية المحشورة بين ظلفتيها تاركة إياهم غارقين في محنتهم، ساهمين، حائرين، بمصيرهم المحزن.

يقول زياد تركي عن تجربته التي قدمها في معرضه في ملتقى المدى الابداعي الاخير في مدينة اربيل،:داخل تلك المخلفات التي كانت يوما ما بنايات (محترمة !) تثير فينا الرعب ..والخدر ..والحذر ..والتقزز احيانا، والتودد احيانا اخرى.كانت هناك سجون وغرف تحقيق وغرف اجتماعات واخرى للنكات .ولم تك تلك الغرف تخلو من صورة الاوحد ..الفريد ..العنيد.. الجبار .. اليوم لم تعد تلك الصورة معلقة ولم يعد له أسم مما كان . في جوف تلك البنايات .وجدت من يفترش الاضابير للمنام وهناك من اقام مطبخه الصغير في زنزانة مفردة .وهناك من يشارك زوجته غرفة رئيس التحرير، الاطفال وجدتهم يلعبون في مكتب أمين سر الفرع .وهناك صبي يغازل فتاته في غرفة المدير العام ... الى هؤلاء، الى من يستحق منهم المأوى ،الى عيون أطفالهم جميعا أهدي هذه الصور .

من المكتبة الأجنبية

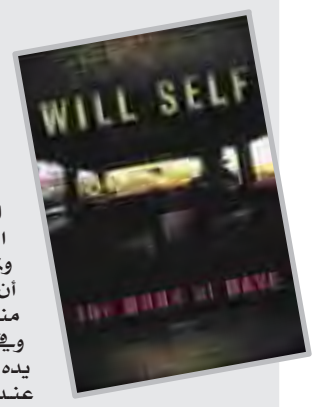

رواية كتاب ديف
تأليف :ويل سيلف

يبدو جلياً أن رواية ويل سيلف الجديدة (كتاب ديف) تجرى أحداثها في فترتين زمنيتين مختلفتين، تراوح بينهما فصول الكتاب. في الفترة الزمنية الأولى نتابع سائق سيارة الأجرة الساخط في الفترة من عام ٢٠٠١ إلى عام ٢٠٠٣، وهو العام الذي يلقى فيه ديف حتفه. لتبادر ميشيل زوجة سائق التاكسي ديف رودمان إلى الهروب منه من أجل رجل آخر، حاملة معها ابنهما الصغير، فإن ديف يجد نفسه وقد استسلم إلى موجات من الشك والسخط. ولما كان يخشى من أن ابنه الصغير لن يقدر له أن يعرفه في يوم من الأيام بعد أن حرمتهما الأم من أن يلتقيا، فإنه يبادر إلى كتابة نص حافل، هو في جانب منه يوميات سائق سيارة أجرة وفي جانب آخر أطروحة فلسفية بالغة الغرابة، وفي جانب ثالث ركام من المعرفة يقدر لكل سائق سيارة أجرة في لندن أن يضع يده عليه بحكم مهنته ومتاعبها. هذا الكتاب الذي قصد به أن يقع في يد الصبي عندما يكبر يضم كل عناصر القلق والإحباط التي تحفل بها حياة المدن الحديثة.

قصة حياة فرانز فانون
تأليف :دافيد ماسي
الناشر: غرانتا بكس - نيويورك ٢٠٠٦

مؤلف هذا الكتاب هو الكاتب والمترجم الأميركي المعروف دافيد ماسي. وكان قد نشر كتبا عدة عن الشخصيات الثقافية الفرنسية. نذكر من بينها كتابه الشهير عن ميشيل فوكو، وكتابه الآخر عن جاك لاكان والتحليل النفسي. وبالتالي فهو من كتاب السيرة المعروفين في الولايات المتحدة، وقد برع في هذا الفن كثيرا. وفي هذا الكتاب الجديد يخصص دافيد ماسي سيرة ضخمة للمناضل والمفكر الأممي الشهير: فرانز فانون. ومعلوم أن الجزائر احتفلت به وبذكراه عام ٢٠٠٤ بمناسبة انعقاد المعرض الدولي التاسع للكتاب فيها. ونظمت له مؤتمرا علميا حافلا شاركت فيه عشرات الشخصيات من عربية وأجنبية. وكان ذلك تقديرا لنضاله من أجل تحرر الشعب الجزائري من نير الاستعمار الفرنسي.

هزيمة الإرادة
تأليف :مجموعة مؤلفين
الناشر: سويل . باريس

على الطريق الصعب للإرادة، أو ربما بالأصح على الطريق الصعب لـ (غياب الإرادة) في عالم ما بعد الحداثة في المجتمعات الغربية المتقدمة. هذا الغياب الذي يبرز في الثقافة الحديثة عبر القلق الذي يولده الإحساس بـ (التكرار) وب(العجز) وما يترتب عليهما من شلل الإرادة أو (مرضها). وفي الحالتين يغدو من الصعب تصور أي طريق للمستقبل .يحدد المؤلفان أهم سمات المجتمعات الحديثة في شيوع نوع من (الإحساس المرضي بالفراغ) وما يتولد عن هذا من (ثقافة قمعية يمكن اعتبارها بمثابة لباس حديث لنزعة العدمية). وهذا يطرح بدوره أسئلة جوهرية حول العلاقة بين المصير الإنساني والحرية والحداثة.

روبنسون في بكين
تأليف :إريك ماير
الناشر: روبير لافون . باريس ٢٠٠٦

الصحافي الفرنسي إريك ماير المقيم في العاصمة الصينية بكين منذ عام ١٩٨٧ أخذ معه زوجته وأطفاله من فرنسا وذهب إلى الشرق الأقصى لكي يعيش هناك .في هذا الكتاب الجديد يتحدث المؤلف عن انطباعاته عن الصين منذ أن وصل إليها لأول مرة ويقول:في الخامس من شهر سبتمبر عام ١٩٨٧ كانت السماء صحواً والشمس مشرقة عندما نزلت من الطائرة ووطأت قدماي لأول مرة أرض الصين. وقد أنزلوني في إحد المباني الفخمة المخصصة للضيوف الأجانب المهمين. ثم نظرت في الجهة المقابلة فوجدت ما يدعى هناك بمخزن الصداقة. وهو عبارة عن سوبرماركت محروس من قبل البوليس المدجج بالسلاح. ويشكل هذا المخزن المقهى الوحيد في المدينة كلها.